التقديم والتأخير بين الفخر الرازي والعلامة الطباطبائي

الأستاذ الدكتور
حاكم حبيب الكريطي
المدرس المساعد
رشا سعود عبد العالي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

التقديم والتأخير

يُعدّ التقديم والتأخير باباً من أبواب علم المعاني , وله مزية تفضله عن غيره من علوم البلاغة العربية . وقد عدّه ابن جني بابا من أبواب الشجاعة العربية, فضلا عن الحذف, والزيادة ,والحمل على المعنى, والتحريف . ١

وعدّه أبو عبيدة (١٨٠هـ) سنة من سنن العرب ,وذلك في معرض حديثه عن الآية الكريمة لقوله تعالى : ﴿ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾٢ فقال : ((مجازه : أحسن خلق كل شيء ,والعرب تفعل هذا يقدمون ويؤخرون)) ٣.

وقال عنه الشيخ عبد القاهر الجرجاني (٤٧٤هـ) :((هو بابٌ كثيرُ الفوائد جَمُّ المحاسن واسعُ التصرُّف بعيدُ الغاية, لا يزالُ يفتَرُّ لك عن بديعةٍ ويُفضي بكَ إلى لطيفة , ولا تزالُ ترى شِعراً يروقُك مسمَعُه ,ويَلْطُف لديك موقعُه ,ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أنْ راقك ,ولُطف عندك أن قُدّم فيه شيءٌ ,وحُوّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان)) ٤.

ووصفه ابن الأثير (٦٣٧هـ)بأنه :((باب طويل عريضٍ يشتمل على أسرار دقيقة, منها ما استخرجته أنا , ومنها ما وجدته في أقوال علماء البيانِ))٥.

أمّا الزركشي (٧٩٤هـ) فقد عدّه دليلا على التمكّن في الفصاحة ,وملكة من ملكات الكلام , وكذلك بيّن سبب اللجوء إليه , واعتماده أسلوبا في الكلام, وذلك لما يتخلله من عذوبة مذاق ,وما يتركه من أثر في القلوب٦.

وقد اختلف البلاغيون في عدّ هذا الأسلوب من المجاز , فبعضهم عدّه من المجاز , لأنّه تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول وتأخير ما رتبته التقديم , كالفاعل ونقل كل

واحد منهما عن رتبته وحقه. وبعض آخر لم يعدّه من المجاز لأنّ الأخير نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع. ٧

وقد حلّل د. محمد عبد المطلب البنية التركيبية لهذا الأسلوب بقوله :((ويلاحظ في هذا التحوّل أنه قد أخذ شكلا (موضعيا)على معنى أنه ينحصر في حدود الدال صياغيا , وإن اتسع تأثيره ليشمل التركيب ,ذلك أنّ هناك تحولا آخر يصيب المسند أليه , لكنّه يأخذ شكل حركة أفقية , ينتقل فيها الدال من موضعه الأصلي إلى موضع طاريء ,أو يأخذ الدال ثباتا لموضعه الأصلي , بالرغم من أنه لإثبات له فيه , حيث يكون من منطقة الرتب غير المحفوظة)) ٨.

إذاً : ((التقديم والتأخير هو تركيب سياقي وائتلاف دلالي يقصده المتكلم ويعنيه ، نعم ؛ إنّ نظام الجملة العربية قد أقر أن الجملة هي من المسند والمسند إليه , وهذا هو منطقها ,ومن ذلك حددت ضوابط بينة , فالخبر لا يتقدّم على المبتدأ وهو مسند إليه , والفاعل لا يتقدم على الفعل وهو مسند إلا في أحوال خاصة يقتضيها التعبير , منها , أن القاعدة الدلالية هي ان المهم يقدّم)) ٩ تأكيدا على ما أورده سيبويه في هذا الباب بقوله : ((كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى , وإن كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم)) ١٠

ولأسلوب التقديم والتأخير أهمية كبيرة تكمن في قدرته على إبراز الموهبة , والتفوق في القول , فهو من معايير الفصاحة عند العرب ١١, وهو من الأساليب التي أكسبت النصّ القرآني جزءا من تفرده وتميزه , لأنّ النظم القرآني نظم مؤثر لا يضاهيه نظم آخر, وللتقديم والتأخير نكت بلاغية متفردة , فقد ((يأتي التقديم والتأخير في الآيات القرآنية تبعاً للمعنى المقتضي للتقديم , وقد يكون في كل واحد من الشيئين صفة تقتضي التقدّم , فحينئذ يكون الترجيح لأهمها في ذلك المحل وإن كانت الأخرى أهمّ في محل آخر , ومن هنا تأتي أهمية النظر والتبصر في السياق الذي جاء مختلف الترتيب من موضع لآخر , ولابد من سبب يستخرج , فما خولف الترتيب إلا لحكمة ...)) ١٢ .

ولو تصفحنا تفسيري الفخر الرازي ,والعلامة الطباطبائي لوجدنا أن لهذا الأسلوب البلاغي أثره الواضح في بيان القصد القرآني .

فمن مواضع الاتفاق بين المفسرين ماجاء قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ ﴾١٣ فقد فنّد الفخر الرازي احد الوجوه التفسيرية المفضية بوجود تقديم وتأخير في هذه الآية ,ووصفه بالضعف , وذلك بقوله : ((في الآية تقديم وتأخير ، والتقدير : لا تسألوا عن أشياء عفا الله عنها في الآية ((إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ)) ,وهذا ضعيف لأنّ الكلام إذا استقام من غير تغيير النظم لم يجز المصير إلى التقديم والتأخير ، وعلى هذا الوجه فقوله ((عَفَا الله عَنْهَا)) أي: أمسك عنها ,وكفّ عن ذكرها , ولم يكلف فيها بشيء ، وهذا كقوله عليه الصلاة والسلام : « عفوت لكم عن صدقة الخيل ، والرقيق » أي خففت عنكم بإسقاطها)) ١٤. فنجده قد أبعد التقديم والتأخير عن هذه الآية لعدم وجود نكتة بلاغية فيه , ولأن الكلام مستقيم , ولايحتاج إلى التغير في نظمه , لإظهار فائدة , أو معنى معين يفضيه التقديم والتأخير, فمن كلامه عن هذه الآية نستطيع أن نستشف طريقة تعامله مع النصوص القرآنية, فيما إذا كانت متضمنة التقديم والتأخير , أو متجردة عنه , وهو متى استقام الكلام ,واستغنى عن اللجوء لتغيير في النظم , فلا يوجد من داعٍ لحمل ذلك الكلام على غير ظاهره , مالم تكون هناك فائدة من ذلك الحمل .

وقد اتفق العلامة الطباطبائي مع الفخر الرازي في توجيهه البلاغي لهذه الآية ,فقد لاحظ عدم وجود أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية , وذلك بقوله : ((إن قوله تعالى: "عفا الله عنها" الظاهر أنه جملة مستقلة مسوقة لتعليل النهي في قوله: "لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم" لا كما ذكروه: أنه وصف لأشياء، و أن في الكلام تقديما و تأخيرا، و التقدير: لا تسألوا عن أشياء عفا الله عنها إن تبد لكم تسوؤكم)) ١٥ , فهو ينكر على الذين يقولون بوجود التقديم والتأخير في هذه الآية , ويؤكد ذلك بقوله : ((أن قوله تعالى: "عفا الله عنها" جملة مستقلة مسوقة لتعليل

النهي عن السؤال ,فتفيد فائدة الوصف من غير أن يكون وصفا بحسب التركيب الكلامي)) ١٦ .

وفي قوله تعالى : ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ))١٧ نجد أنّ الفخر الرازي قد لاحظ وجود أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية , وبيّن أنّه يفيد الحصر١٨ ,وساق أوجها كثيرة توضح سبب هذا التقديم نكتفي بواحد منها , هو قوله : ((قال : إياك نعبد ، فقدّم قوله إياك على قوله نعبد ,ولم يقل نعبدك ، وفيه وجوه : أحدها : أنه تعالى قدم ذكر نفسه ليتنبه العابد على أن المعبود هو الله الحقّ ، فلا يتكاسل في التعظيم , ولا يلتفت يميناً وشمالاً))١٩ .

في حين أشار العلامة الطباطبائي إلى أنّ في هذه الآية تقديما وتأخيرا , وكذلك حدّد نوع ذلك التقديم , وهو تقديم المفعول الذي أفاد الحصر ٢٠.

ومن مواطن الاتفاق بين المفسرين أيضا تفنيدهما لبعض الآيات التي رجح بعضهم وجود التقديم والتأخير فيها , وذلك في قوله تعالى :﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ ﴾٢١ فلم يشر الفخر الرازي إلى وجود أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية كما فعل بعضهم ٢٢, ومن تلك الأسباب التي ساقها ,وفندها قول يفضي بـ : ((أنّ هذا على التقديم والتأخير والتقدير : وامرأته قائمة فبشرناها بإسحق فضحكت سروراً بسبب تلك البشارة فقدّم الضحك ، ومعناه التأخير))٢٣ وبهذا السبب الذي ساقه الفخر الرازي ,ورفضه يتبيّن موقفه البلاغي تجاه هذه الآية , وهو انتفاء التقديم والتأخير , وذلك لأن السبب القائل بوجوده ,قد فُند ,ورفض من قبله , وكذلك نجده في نهاية سوقه لكلّ تلك الأسباب انه قد أنكرها جميعا ,وعدّها زوائد , لايجب الأخذ بها .

ويرى العلامة الطباطبائي أنّ كل من حمل هذه الآية على التقديم والتّأخير ,وذلك بتقدير: "فبشرناها بإسحاق و من وراء إسحاق يعقوب فضحكت" كان محمله خلاف الظاهر من غير نكتة ظاهرة ٢٤ , ونجده في موضع آخر من تفسيره يشير إلى رأي خاصّ به بالتقديم والتأخير ,فهو ينكر على بعض المفسرين الذين صرحوا بوجود أسلوب التقديم والتأخير في بعض الآيات من دون الالتفات إلى ماهية

التقديم والتأخير في القرآن وذلك من خلال قوله : ((أنه إن كان المراد به ما ربما يقوله المفسرون: إن في القرآن تقديما و تأخيرا ,فإنما ذلك فيما يكون هناك جمل متعددة بعضها متقدمة على بعضها بالطبع ,فأهمل النظم ,و اكتفى بمجرد العدّ من غير ترتيب ,لعناية تعلقت به كما قيل في قوله تعالى: ((و امرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق و من وراء إسحاق يعقوب)) ٢٥ إنه من التقديم و التأخير، و إن التقدير: فبشرناها فضحكت))٢٦, فهو لا يتفق مع المفسرين الذين يرون أن في هذه الآية تقديما وتأخيرا , وبموقف العلامة الطباطبائي من هذه الآية يتوضح رأيه الخاص بالتقديم والتأخير , إذ عدم اخذ الكلام على ظاهره يتطلب نكتة بلاغية ,ولا يكون مجرد تغيير في قوانين اللغة والنظم فحسب , فالقرآن الكريم معجز بنصه ونظمه , ولايقتصر على جمل مرصوص بعضها إلى بعض من دون رابط , أو نظم يحكمها ,ويحدد دلالتها , وهو لايجوّز على بعض المفسرين تجاهل هذا النظم المعجز , والتصريح بوجود تقديم وتأخير من غير نكتة بلاغية ظاهرة .

ولو تأملنا قوله تعالى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ ٢٧ لوجدنا أنّ الفخر الرازي لم يشر صراحة إلى وجود أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية, ولكنّنا قد نستشف من كلامه ما يصبّ في هذا المنحى فقد قال : ((أما قوله ((وَيُؤْمِن بالله)) ففيه إشارة إلى أنه لا بد للكافر من أن يتوب أولاً عن الكفر ، ثم يؤمن بعد ذلك)) ٢٨ ,وكأنّ في كلامه ما يسوّغ تقدّم الكفر على الإيمان, لأنه تقديم وتأخير في المعنى العام ,وكأن الأصل أن يتقدم الإيمان على الكفر , ولكن قُدم الكفر لهذه العلة , وإلا فمن حيث قوانين اللغة , الآية قد خلت من التقديم والتأخير.

وقد لاحظ العلامة الطباطبائي وجود أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية, وبيّن سبب تقديم الكفر على الإيمان, وذلك بقوله : ((و إنّما قدّم الكفر على الإيمان في قوله: فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله، ليوافق التّرتيب الذي يناسبه الفعل الواقع في الجزاء أعني الاستمساك بالعروة الوثقى، لأنّ الاستمساك بشيء إنما يكون بترك كل شيء ,و الأخذ بالعروة، فهناك ترك ثمّ أخذ، فقدّم الكفر , وهو ترك على

الإيمان ,وهو أخذ ليوافق ذلك)) ٢٩ ,لقد علّل العلامة الطباطبائي تقدم الكفر على الإيمان تناسبا مع الفعل (الفخر الرازي أقوالا متعددة لمعاني هذه الآية ,وأثبت عكس صحة بعضها وسيلة منه لإثبات ما ردَّ به على بعض تلكم الأقوال ,فنجده يقول لمن زعم أنّ الإفاضة من عرفات : ((أما الإشكال على القول الأول : فهو أن قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ يقتضي ظاهره أن هذه الإفاضة غير ما دلّ عليه قوله : ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ ﴾٣٠ لمكان ((ثُمَّ)) فإنها توجب التّرتيب ، ولو كان المراد من هذه الآية : الإفاضة من عرفات ، مع أنه معطوف على قوله ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ ﴾ كان هذا عطفاً للشيء على نفسه ,وأنه غير جائز ,ولأنه يصير تقدير الآية : فإذا أفضتم من عرفات ، ثم أفيضوا من عرفات وإنه غير جائز)) ٣١. لذا يبدو لنا ممّا تقدّم الموقف البلاغي للفخر الرازي , وهو انتفاء التقديم والتأخير في الآيتين , وذلك لأنّه فنّد مزاعم كل مَنْ كان قوله موجباً بوجوده في الآيتين الكريمتين .

وقد جعل العلامة الطباطبائي الكلام بمنزلة الاستدراك ,وذلك بقوله: ((و على هذا فذكر هذا الحكم بعد قوله: فإذا أفضتم من عرفات، بثمّ الدالة على التأخير اعتبار للتّرتيب الذكري، والكلام بمنزلة الاستدراك، و المعنى أن أحكام الحج هي التي ذكرت غير أنه يجب عليكم في الإفاضة أن تفيضوا من عرفات لا من المزدلفة)) ٣٢ ثمّ بعد ذلك نوّه بوجود مَنْ ظن أنّ في الآيتين تقديما وتأخيرا وذلك بقوله : ((و ربما قيل: إن في الآيتين تقديما و تأخيرا في التأليف، و الترتيب: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس. فإذا أفضتم من عرفات)) ٣٣.

ومن مواضع الاختلاف بين المفسرين ما جاء في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾٣٤ نجد أن الفخر الرازي لا يسلّم بأن يوسف (عليه السلام) همّ بها وساق لذلك دليلا قرآنيا ,وهو قوله تعالى: ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ فكان يرى أن

جواب لولا مقدم على نحو ما يقال : قد كنت من الهالكين لولا أن فلاناً خلصك ،ثم نقل لنا كيف طعن الزجاج في هذا الجواب وذلك من وجهين : ((الأول : أن تقديم جواب (لَوْلاَ) شاذ ,وغير موجود في الكلام الفصيح . الثاني : أن (لَوْلاَ) يجاب جوابها باللام ، فلو كان الأمر على ما ذكرتم لقال : ولقد همت ولهم بها لولا)) ٣٥. ثم نقل رأيا غير رأي الزجاج وهو ((أنه لو لم يوجد الهمّ لما كان لقوله : ((لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ)) فائدة)) ٣٦ ثم بدأ بعد ذلك بتفنيد رأي الزجاج ,وذلك بقوله : ((واعلم أن ما ذكره الزجاج بعيد ، لأنّا نسلم أن تأخير جواب (لَوْلاَ) حسَن جائز ، إلا أن جوازه لا يمنع من جواز تقديم هذا الجواب ، وكيف ونقل عن سيبويه أنه قال : إنهم يقدّمون الأهمّ فالأهمّ ، والذي هم بشأنه أعنى فكان الأمر في جواز التقديم والتأخير مربوطاً بشدّة الاهتمام . وأما تعيين بعض الألفاظ بالمنع ,فذلك ممّا لا يليق بالحكمة ، وأيضاً ذكر جواب ((لَوْلاَ)) باللام جائز . أمّا هذا لا يدل على أن ذكره بغير اللام لا يجوز ، ثم إنا نذكر آية أخرى تدل على فساد قول الزجاج في هذين السؤالين ، وهو قوله تعالى : ((إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا على قَلْبِهَا))٣٧ أمّا ردّه على غير الزجاج فكان بقوله : ((وهو أنه لو لم يوجد الهمّ لم يبق لقوله : ((لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ)) فائدة . فنقول : بل فيه أعظم الفوائد ، وهو بيان أن ترك الهمّ بها ما كان لعدم رغبته في النساء ، وعدم قدرته عليهن ,بل لأجل أن دلائل دين الله منعته عن ذلك العمل ، ثمّ نقول : إن الذي يدل على أن جواب ((لَوْلاَ)) ما ذكرناه أن ((لَوْلاَ)) تستدعي جواباً ، وهذا المذكور يصلح جواباً له ، فوجب الحكم بكونه جواباً له لا يقال إنّا نضمر له جواباً ، وترك الجواب كثير في القرآن ، لأنا نقول : لا نزاع ؛ أنه كثير في القرآن ، إلا أن الأصل أن لا يكون محذوفاً . وأيضاً فالجواب إنما يحسن تركه وحذفه إذا حصل في اللفظ ما يدل على تعيّنه ، وههنا بتقدير أن يكون الجواب محذوفاً فليس في اللفظ ما يدل على تعيّن ذلك الجواب ، فإن ههنا أنواعاً من الإضمارات يحسن إضمار كل واحد منها ، وليس إضمار بعضها أولى من إضمار الباقي فظهر الفرق . والله أعلم))٣٨.

ومّما تقدّم يتبيّن أن الفخر الرازي يُصر على وجود تقديم وتأخير في هذه الآية – بتقدم جواب لولا – على الرغم من وجود الأسباب المعارضة لذلك من أهل اللغة , فهم لايجوزون تقدم جواب لولا ,وكذلك يؤكدون على ضرورة اقتران جواب لولا باللام , لكن الفخر الرازي حاجج كل من يقول بذلك وأكد على أن تقدم جواب لولا , وعدم اقترانه باللام جائز , وساق دليلا قرآنيا لرد كل من يرى عكس ذلك , ويعضد كلامه في الوقت نفسه , وكذلك أشار إلى انه إذا كان الجواب محذوفا –وهو جائز- يجب أن يوجد مايدل عليه , لكن الآية خلت من ذلك , ونوّه إلى أن هناك كثير من الاضمارات , فلم اضمر بعضها ,وترك الآخر.

أمّا العلامة الطباطبائي فلم يتفق مع الفخر الرازي بوجود تقديم وتأخير في هذه الآية مخالفا مَنْ قال بوجوده في هذه الآية قال تعالى : ((و لقد همت به و لو لا أن رءا برهان ربه لهم بها، و لما رءا برهان ربه لم يهم بها)) فأخذ العلامة الطباطبائي يسوق الحجج والبراهين النافية لذلك ,وذلك كقوله : ((فالمعنى يختلف فيه بالتقديم و التأخير , فهو إذا قدم كان همّا مطلقا من غير تقييد , لعدم جواز كونه جوابا لـ(لولا) مقدما عليها على ما ذكروه، و إذا أخر كان همّاً مقيدا بالشرط , و إن كان المراد أنه جواب للولا مقدم عليها , فالنحاة لا يجوزونه قياسا على إن الشرطية ,و يؤولون ما سمع من ذلك اللهم إلا أن يكون ذلك خلافا منه لهم لعدم الدليل على هذا القياس، و لا موجب لتأويل ما ورد في الكلام ممّا ظاهره ذلك))٣٩.

فما نلاحظه أن العلامة الطباطبائي أكد على عدم وجود أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية, مسوغا لذلك بان جواب لولا لو قُدِم لأصبح الهم مطلقا من دون شرط , لعدم جواز كونه جوابا لـ لولا مقدما عليها وفق نظر أهل اللغة قياسا على أن الشرطية , فهم يؤولون ماسمع من ذلك , لانتفاء الدليل على هذا القياس , أما إذا تأخر الجواب كان الهم مقيدا بالشرط , فهو يرى لاحاجة لتأويل الكلام إذا كان ظاهره ذلك .

وعلى ما تقدّم يتّضح أنّ التوجيه البلاغي للمفسرين مختلف في هذه الآية, فالفخر الرازي يؤكد على وجود أسلوب التقديم والتأخير فيها, ويفند حجج من يرى خلاف

ذلك , في حين أنّ العلامة الطباطبائي ينفي وجود هذا الأسلوب البلاغي في هذه الآية, فالاختلاف الحاصل بين المفسرين في هذه القضية نابع من أن كلً واحد منهما ينطلق من عقيدته في فهم النص , ويحاول أن يوجه القضية النحوية بالاتجاه الذي يريده .

وقد بيّن الفخر الرازي في قوله تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾٤٠ سبب تقديم النساء على غيرها من الشّهوات وذلك بقوله : ((إعلم أنه تعالى عدّد ههنا من المشتهيات أموراً سبعة أولها : النساء وإنّما قدمهن على الكل لأنّ الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتمّ ,ولذلك قال تعالى : ﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾٤١, وممّا يؤكّد ذلك أن العشق الشديد المفلق المهلك لا يتفق إلا في هذا النّوع من الشهوة)) ٤٢.

في حين نقل العلامة الطباطبائي ما جاء في الكافي ,وتفسير العياشي من قول للامام الصادق (عليه السلام) يبيّن فيه تلذذ الناس في الدنيا ,والآخرة بالنساء ,وذلك بقوله : ((ما تلذذ الناس في الدنيا, والآخرة بلذّة أكبر لهم من لذّة النساء، و هو قوله: زين للناس حبّ الشهوات من النساء و البنين الآية ثم قال: و إن أهل الجنة ما يتلذذون بشيء من الجنة أشهى عندهم من النكاح، لا طعام و لا شراب.)) ٤٣ ومن قول الصادق (عليه السلام) ينطلق العلامة الطباطبائي ليسوّغ سبب تقديم النساء على غيرها من الشهوات وذلك بقوله : ((أقول: و قد استفيد ذلك من الترتيب المجعول في الآية للشهوات ,ثمّ تقديم النساء على باقي المشتهيات ,ثمّ جعل هذه الشهوات متاع الدنيا و شهوات الجنة خيراً منها))٤٤.

إن التقديم الحاصل في هذه الآية بديهة سارية ومعروفة , وهي أن من الطبيعي أن تتقدم النساء على البنين ,لأن النساء أصل للبنين , ولولا النساء لما وجد البنين ,لذا

وجب تقدمهن على البنين ,فهو بمثابة تقدم الأصل على الفرع , وهذا التقديم هو تقديم يتصل بالمعنى من دون أن يكون للنظم تأثير فيه .

وممّا ورد في هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم ﴾ ٤٥ ,إذْ بيّن هنا الفخر الرازي سبب تقديم المؤمنات على غيرهن ((لأنّ العرب كانت تتفاخر بأنسابها وأحسابها , لذا كانت هذه الكلمة من الله سبحانه وتعالى زجراً لهم عن أخلاق الجاهلية ,وقد نقل رأي الزجاج الذي كان مؤيدّا للوجه الثاني من تفسير قوله تعالى ((بعضكم لبعض)) والذي كان معناه ((كلكم مشتركون في الإيمان ، والإيمان أعظم الفضائل ، فإذا حصل الاشتراك في أعظم الفضائل كان التفاوت فيما وراءه غير ملتفت إليه ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ ٤٦ ,وقوله : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾٤٧))٤٨ , وفي كلام الفخر الرازي السابق الذكر مايوحي بأن هذه الآية جاءت بما يشبه الدعوة إلى نبذ الأخلاق الجاهلية ,فقد كان التفاخر بالاحساب ,والأنساب جزءا من أخلاقيات العرب قديما, والتي أولوها الاهتمام, وقدموها حتى على حساب قيمة الإنسان نفسه, فجاءت الآية رادعة لكل تلك الأخلاقيات البالية التي رفضها الدين الإسلامي , وجعلت الإيمان هو المعيار الأساس في الحكم على سائر البشر .

ثمّ ينقل رأي الزجاج بقوله : ((قال الزجاج : فهذا الثاني أولى لتقدم ذكر المؤمنات ، أو , لأن الشرف بشرف الإسلام أولى منه بسائر الصّفات))٤٩, ثمّ يعقب بعد ذلك بقوله : ((وهو يقوي قول الشافعي رضي الله عنه : إن الإيمان شرط لجواز نكاح الأمة)) ٥٠ .وممّا نلحظه أن الفخر الرازي قد ساق قول الزجاج ليقوي ماذهب إليه الشافعي , من أن الإيمان شرط لجواز نكاح الأمة , فلعلّه يرى أن تقدم ذكر المؤمنات اوجب أن يكون الإيمان شرطا لنكاح الأمة , منطلقا بذلك مما جاء به الشافعي .

وقد كان رأي العلامة الطباطبائي في هذه الآية أنّ التّرتيب الحاصل فيها جاء متوافقا لطبائع الناس ,وعاداتهم , وليس لزم عليهم تطبيق ذلك التّرتيب ,وذلك بقوله: ((من هنا يظهر أن الترتيب الواقع في صدر الآية في صورة الاشتراط , والتنزل، أعني قوله: "ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فممّا ملكت أيمانكم"، إنّما هو جري في الكلام على مجرى الطبع والعادة، وليس إلزاما للمؤمنين على الترتيب بمعنى أن يتوقف جواز نكاح الأمة على فقدان الاستطاعة على نكاح الحرة , بل لكون الناس بحسب طباعهم سالكين هذا المسلك خاطبهم أن لو لم يقدروا على نكاح الحرائر, فلهم أن يقدموا على نكاح الفتيات من غير انقباض، و نبّه مع ذلك على أن الحرّ والرق من نوع واحد بعض أفراده يرجع إلى بعض))٥١.

من الطبيعي أن يتجه الناس إلى من يوافقهم في المذهب ,فالمؤمن يتجه بالفطرة إلى المؤمنة التي تشاركه في مذهبه, فالآية عبرت عن العادة ,والسليقة التي عليها البشر , لكن في الوقت نفسه جوّزت الزواج بغيرهن لمن لم يستطع الزواج بالمؤمنات, فقُدمت المؤمنات جريا على العادة والطبع.

وممّا نلاحظه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴾٥٢ أنّ الفخر الرازي قد عرض للتّرتيب الحاصل في هذه الآيات, وهو بصدد مقارنتها بقوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾٥٣ , مبيناً أن تلك الدلائل التي وجدت في ثلاث آيات من سورة الجاثية قد اختصرت بآية واحدة من سورة البقرة . وبعد أنّ بيّن التفاوت الحاصل في الموضعين أشار إلى

الترتيب الحاصل في سورة الجاثية ,ولِمَ قُدِمَ الإيمان على الإيقان والعقل ,وذلك بقوله : ((أنه تعالى ذكر في هذا الموضوع ثلاثة مقاطع أولها : يؤمنون ,وثانيها : يوقنون ,وثالثها : يعقلون ، وأظن أنّ سبب هذا التّرتيب أنه قيل إن كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلائل ، وإن كنتم لستم من المؤمنين ,بل أنتم من طلاب الحق واليقين فافهموا هذه الدلائل ، وإن كنتم لستم من المؤمنين ,ولا من الموقنين , فلا أقل من أن تكونوا من زمرة العاقلين ,فاجتهدوا في معرفة هذه الدلائل))٥٤. يتبيّن ممّا تقدم أن الفخر الرازي قد نظر إلى هذه الآيات بجملتها , ولم يفصّل مضمون كل آية بحسب فواصل آياتها , بل جعل الكلام موجها للمؤمنين ,ثم الموقنين ,ثم العاقلين بالاجتهاد لمعرفة أسرار الخلق ,والملكوت ,والظواهر الكونية .

في حين نجد أنّ العلامة الطباطبائي قد بيّن سبب ترتيب فواصل الآيات الكريمة شارحا ومفصلا , وَلِمَ قُدم الإيمان على الإيقان والعقل ,موضحاً اثر السياق ,وما يتركه من وقعٍ على فواصل الآيات فقال : ((وقد خصّ كل قبيل من الآيات بقوم خاص ,فخصت آية السماوات ,و الأرض بالمؤمنين ,وآية الإنسان ,وسائر الحيوان بقوم يوقنون، وآية اختلاف الليل ,والنهار والأمطار,وتصريف الرياح بقوم يعقلون)) ٥٥ . ثمّ بعد ذلك اخذ يفصل القول في سبب اختصاص كل آية بأقوام محددة دون غيرهم , وذلك بقوله : ((و لعل الوجه في ذلك أن آية السماوات ,و الأرض تدل بدلالة بسيطة ساذجة على أنها لم توجد نفسها بنفسها , ولا عن اتفاق و صدفة , بل لها موجد أوجدها مع ما لها من الآثار ,والأفعال التي يتحصل منها النظام المشهود ,فخالقها خالق الجميع وربّ الكل، و الإنسان يدرك ذلك بفهمه البسيط الساذج ,و المؤمنون بجميع طبقاتهم يفهمون ذلك ,وينتفعون به. و أمّا أنّه خلق الإنسان ,و سائر الدواب التي لها حياة ,و شعور , فإنها من حيث أرواحها ,و نفوسها الحية الشاعرة من عالم وراء عالم المادة ,وهو المسمى بالملكوت ,وقد خصّ القرآن كمال إدراكه و مشاهدته بأهل اليقين ... وأمّا آية اختلاف الليل والنهار ,والأمطار المحيية للأرض ,وتصريف الرياح ,فإنها لتنوع أقسامها ,وتعدد جهاتها ,وارتباطها بالأرض و الأرضيات ,وكثرة فوائدها و,سعة منافعها تحتاج إلى تعقّل فكري تفصيلي عميق ,ولا

تنال بالفهم (البسيط) الساذج ,ولذلك خصت بقوم يعقلون ,والآيات آيات لجميع الناس , لكن لما كان المنتفع بها بعضهم خصت بهم))٥٦.

لقد جعل العلامة الطباطبائي نهاية كل فاصلة بمثابة مرآة تفضي بما تضمنته الآية المختومة بهذه الفاصلة , فقد جعل التدبر بالسموات والأرض من الأمور المؤدية للإيمان , لأن الإنسان بمجرد تفكيره في عجيب خلق تلك السماوات والأرض سيدرك بأنها من صنع خالق عظيم , لذا فهي عامة ومدركة من جميع المؤمنين , وخص آية الإنسان وسائر الحيوانات بقوم يوقنون , لأنه خاطب كل من لديه حياة من البشر ,وسائر الحيوانات , فهم يمتلكون الأرواح التي جاوزت عالم المادة إلى ما وراءه المسمى (الملكوت) , فإدراك القرآن ومعرفته يكون بأهل اليقين , فاليقين أقصى درجات الإيمان , ولا يحصل الإيمان إلا باليقين , أما الأمور الكونية من اختلاف الليل والنهار والأمطار والرياح على تنوعها خصت بالأمور العقلية , لأنها مما يُفقه بالعقل فتحتاج إلى تعمق فكري ,وتدبر في هذه الأمور الكونية التي لايستطاع الوصول إلى أسرارها , إلا من خلال التعمق الفكري , لا الفهم السطحي الساذج .

وفي قوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾٥٧ نجد أنّ الفخر الرازي قد أوردَ لنا قولا من ضمن قولين له بخصوص كلمة (عليها) في هذه الآية , إذ ذكر أنّ فيها تقديما وتأخيرا, وذلك بقوله : ((أن يكون فيه تقديم وتأخير ,والتقدير : يسألونك عنها كأنك حفي بها , ثم حذف قوله : «بها» لطول الكلام , ولأنه معلوم لا يحصل الالتباس بسبب حذفه))٥٨ .

في حين أن العلامة الطباطبائي لم يشر صراحة إلى وجود أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية , واكتفى بذكر التقدير الذي يدل على وجوده فيها , فقال : ((و قوله: كأنك حفي" متخلل بين يسألونك ,والظرف المتعلق به، و الأصل: يسألونك عنها كأنك حفيّ عالم بها)) ٥٩. لقد اتفق المفسران على وجود أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية , إلا أن طريقة الطرح كانت مختلفة بينهما , فقد صرح الفخر الرازي بوجود التقديم والتأخير فيها , أما العلامة الطباطبائي فقد اكتفى بذكر التقدير المفضي إلى وجوده في هذه الآية .

وقد بيّن الفخر الرازي في قوله تعالى :﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ٢ ﴾٦٠ سبب تقديم العزيز على الحميد ,وذلك بقوله : ((إنما قدم ذكر العزيز على ذكر الحميد ، لأنّ الصحيح أن أول العلم بالله العلم بكونه تعالى قادراً ، ثمّ بعد ذلك العلم بكونه عالماً ، ثمّ بعد ذلك العلم بكونه غنياً عن الحاجات ، والعزيز هو القادر ,والحميد هو العالم الغني ، فلمّا كان العلم بكونه تعالى قادراً متقدّماً على العلم بكونه عالماً بالكل غنياً عن الكل لا جرم , قدّم الله ذكر العزيز على ذكر الحميد ، والله أعلم)) ٦١. وهو من باب تقديم اللفظ ,وتأخيره بالمرتبة . ٦٢

في القرآن الكريم يُلجأ أحيانا إلى الترهيب , وأحيانا أخرى إلى الترغيب تبعا لمقصد الآيات المنطوية تحت سوره المباركة , فكأن في توجيه الفخر الرازي لهذه الآية ما يفضي بأن سبب تقديم العزيز على الحميد كان من باب الترهيب ,والميل للشدة ,لأن صفة العزيز من الصفات الإلهية التي تُشعر بقدرته سبحانه وتعالى,وصفة الحميد تشعر بغناه عز وجل , والقدرة اشد من الغنى ,لذا فالمعنى المستتر خلف صفة العزيز هو من جعله يتقدم على صفة الحميد .

في حين ساق لنا العلامة الطباطبائي آراء المفسرين في بيان سبب التقديم و التأخير في هذه الآية ,ووصف بعض تلك الأقوال أنّها من باب المجازفة ,ومن تلك الآراء التي نقلها لنا هو لأبي حيان نقله من روح المعاني فقال :((النكتة في ذلك أنه لما ذكر قبل إنزاله تعالى لهذا الكتاب, و إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، ناسب ذكر هاتين الصفتين صفة العزة المتضمنة للقدرة ,و الغلبة لإنزاله مثل هذا الكتاب المعجز الذي لا يقدر عليه سواه، و صفة الحمد لإنعامه بأعظم النعم , لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.قال: ووجه التقديم و التأخير على هذا ظاهر))٦٣.

ومن الأقوال الأُخر التي نقلها العلامة الطباطبائي ,ووصفها بأنها من باب المجازفة العجيبة , قول الفخر الرازي السابق الذكر ,وكذلك من الأقوال التي نقلها أيضا , قول قريب في المجازفة من قول الفخر الرازي , فقال : ((و قريب منه في المجازفة

قول بعضهم: قدّم العزيز على الحميد اعتناء بأمر الصفات السلبية كما يؤذن به قولهم: التخلية أولى من التحلية فإن العزة - كما تقدم - من الصفات السلبية بخلاف الحمد))٦٤. وعلق عليه بقوله: ((و ربما قيل في وجه تخصيص الوصفين بالذكر أنّه للترغيب في سلوك هذا الصراط ,لأنّه صراط العزيز الحميد ,فيعز سالكه ,و يحمد سابله، انتهى.وهو وجه :الأحرى به أن يجعل من الفوائد المتفرعة دون السبب الموجب، و الوجه ما قدمناه))٦٥. وبتوجيه العلامة الطباطبائي لهذه الآية يبعد كل الآراء التي وصفت بالمجازفة من قبله ,فهو لمْ يلتفت لِمَ قُدم العزيز على الحميد , وإنما التفت إلى سبب تخصص الوصفين بالذكر ,كذلك لم يحبذ العلامة الطباطبائي البث بالأسباب الموجبة للتقديم ,بل كان الأحرى النظر بالفوائد المتعددة الواجب الالتفات إليها, والتركيز في ماهيتها , وكذلك نلحظ من تعليقه على رأي من الآراء التي ساقها, قد خصّ الوصفين بالذكر هو من باب الترغيب , وجعلهما وصفين خاصين بصراط العزيز الحميد , فهاتان الصفتان ستنتقلان إلى من يسلك ذلك الصراط , وبتوجيهه هذا تفرد يحسب له .

ومن مواطن التفرد الخاصة بالفخر الرازي رصدّه لأسلوب التقديم والتأخير في قوله تعالى :﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾٦٦ وذلك بقوله : ((وقوله تعالى : ((عَلَيْنَا يَسِيرٌ)) بتقديم الظرف يدلّ على الاختصاص ، أي هو علينا هين لا على غيرنا ,وهو إعادة جواب قولهم : ((ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ)) ٦٧))٦٨ .لقد وضح الفخر الرازي أن تقدم الظرف جاء للاختصاص في هذه الآية ,وهذا التقديم كان بسبب التغيير في نسق النظم , وقوانين اللغة .

ومن مواطن تفرد العلامة الطباطبائي ماجاء في قوله تعالى ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾٦٩ . فقد نقل رأي احدهم وهو ماينصّ على وجود أسلوب التقديم والتأخير في هذه الآية ,وذلك بقوله : ((و مما قيل في الآية: إن قوله "ثم تول عنهم فانظر" إلخ، من قبيل التقديم و التأخير ,و الأصل :فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم: و هو كما ترى)) ٧٠. ولعلّ السبب في حمل هذه الآية على التقديم والتأخير كان نابعا من كلام النبي سليمان ع للهدد ,فقد أمره بان يأخذ الكتاب إلى ملكة سبأ , فيلقيه إليها ,ثم تعرضه على قومها ,فيتم التداول بما جاء في

الكتاب على مرأى ,ومسمع الهدد ليتم نقل ماجرى للنبي سليمان ع, وعلى هذا الأساس يكون الترتيب بالذهاب بالكتاب ,ثم إلقاءه , ثم النظر فيه , ثم يتم التولي عنهم, فعلى هذا التوجيه والترتيب يصح حمل الآية على التأويل , عن طريق التقديم والتأخير .

وكذلك الحال مع قوله تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ ﴾٧١ نجد أنّ العلامة الطباطبائي قد تفرّد في هذه الآية على الفخر الرازي, وأوضح سبب تقدّم اليوم في هذه الآية, وذلك بقوله : ((أن اليوم: في قوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ظرف متعلق بقوله: "يئس" و إن التقديم للدلالة على تفخيم أمر اليوم، و تعظيم شأنه، لما فيه من خروج الدين من مرحلة القيام بالقيم الشخصي إلى مرحلة القيام بالقيم النوعي، و من صفة الظهور ,و الحدوث إلى صفة البقاء و الدوام))٧٢, لقد سوّغ العلامة الطباطبائي سبب تقديم اليوم في هذه الآية , وذلك تفخيما له وتعظيما , فبه تمّ الانتقال بالدين إلى مرحلة أكثر ثباتا واستقرارا ,وبه يأس الكافرون من دين المؤمنين, فالذين كفروا مطلقة شملت جميع الكفار(من وثنيين ويهود ونصارى) بتوجيه العلامة الطباطبائي ,لذا قُدم اليوم تعظيما لشأنه.

ملخص البحث

يشكل التقديم والتأخير إحدى الوسائل البلاغية التي سخّرها المفسران في تفسيريهما , للوصول إلى مكامن الآيات القرآنية , ومن ثم إعجازها المتفرد ,وقد اتفق المفسران على اعتماد هذا الأسلوب البلاغي في تحليلاتهما ,إلا أنهما اختلفا في طريقة الطرح والتناول , فقد كانت هناك نقاط التقاء , واختلاف , وتفرّد ساعدت على فهم ماشغله هذا الأسلوب من مساحة في تفسير الفخر الرازي ,والعلامة الطباطبائي , لكن من حيث الإطار العام, فقد اتجه التقديم والتأخير عندهما إلى وجهتين لا ثالث لهما , الأولى : كان التقديم والتأخير فيها خاضعا لقواعد النظم ,والنسق النحوي,أما الثانية : فكان التقديم والتأخير فيها تابعا للمعنى ,أي: تقديما وتأخيرا في المعنى العام .

Abstract

Hysteron and Proteron represent one of the rhetorical means that the two explainers (Al-FaKher Al-Razy and Scholar Al-Tabataba'i) had used in their explanations to get the hidden meaning of the holy

Qura'nic verses and their unique miracle. The two explainers are agreed upon using this rhetorical method in their analyses, yet they have different treatment, so there aresimilarity and difference points. This helps in understanding range which this style occupied in the explanations ofAl-FaKher Al-Razy and Scholar Al-Tabataba'i. In generalhysteron and proteron had gone into two directions; in the first hysteron and proteron was subject the grammatical rules and systems, while in the second it followed the meaning in the general significance.

هوامش البحث

١-ظ: الخصائص : ٢/ ٣٦٠.

٢- سورة السجدة :الآية ٧.

٣-مجاز القرآن : ٢/ ١٢١.

٤- دلائل الإعجاز :ص ١٠٦.

٥- المثل السائر : ٣٥/٢.

٦- البرهان في علوم القرآن : ٢٣٣/٣, وظ: معجم المصطلحات البلاغية:ص ٤٠٤.

٧- ظ: البرهان في علوم القرآن :٢٣٣/٣ , و ظ: معجم المصطلحات البلاغية : ٤٠٤ , وظ: مدخل إلى البلاغة العربية : ٩٧

٨- البلاغة العربية (قراءة أخرى): ٢٣٥-٢٣٦.

٩-البحث الدلالي في تفسير الميزان : ٢٢٩. وللدكتور السيد خضر رأي في التقديم والتأخير مفاده انه ((ليس التقديم والتأخير عملية لفظية للتلاعب بالكلام , إنه عملية لفظية دلالية في آنٍ معا , فمتى تقدم لفظ كان حقه التأخير ,وصدر ذلك ممن يُعرف عنه الاجتهاد في صياغة البيان , وجب تحليل الكلام لمعرفة الجمال الفني الذي يحدثه ذلك المبدع بالتقديم والتأخير)) فواصل الآيات القرآنية (دراسة بلاغية دلالية) : ص ٩٥.

١٠- الكتاب : ٣٤/١.

١١- ظ: البرهان في علوم القرآن : ٣/ ٢٣٣.

١٢- دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم (دراسة تحليلية) :ص ١٣٢.وان للتقديم والتأخير غايات بلاغية بينها علماء البلاغة ونوجزها بالاتي : ان المسند إليه يتقدم للأهمية ,وكذلك أن يتمكن الخبر في ذهن السامع ., وان يقصد تعجيل المسرة للتفاؤل, أو المساءة للتطير ,وإيهام أن المسند أليه لا يزول عن الخاطر .وقد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي إن ولي المسند إليه حرف النفي .وكذلك التقديم يفيد

العموم ,ويقدم المسند لإغراض منها : تخصيص المسند بالمسند إليه ,والتنبيه من أول الأمر على انه خبر لا نعت . والتفاؤل بتقديم ما يسر , والتشويق إلى ذكر المسند إليه .ومن التقديم : تقديم متعلقات الفعل عليه كالمفعول والجار والمجرور والحال , وذلك يكون لإغراض منها : الاختصاص,والاهتمام بالمتقدم ,والتبرك, وللضرورة الشعرية ,وكذلك لرعاية الفاصلة .وقد يكون التقديم لاعتبارات أخرى لا تعود إلى المسند والمسند إليه ولا إلى متعلقات الفعل وإنما تعود لأمور كثيرة يحددها سياق الكلام .ومنها : السبق , العلة والسببية ,المرتبة ,التعظيم, الذات .ظ دلائل الإعجاز : ١٠٨ وما بعدها , و ظ: مختصر المعاني: ٦٣ وما بعدها ,و ظ: الإيضاح في علوم البلاغة : ٦٢ وما بعدها, وظ: البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٢٣٣ وما بعدها , و ظ: البلاغة العربية (المعاني والبيان والبديع): ١١٩-١٢٢ , وظ مدخل إلى البلاغة العربية : ٩٧- ١٠١.

١٣-سورة المائدة : الآية ١٠١.

١٤-التفسير الكبير: ١١٤/١٢.

١٥-الميزان : ١٤٢/٦.

١٦-الميزان : ١٤٢/٦ .

١٧- سورة الفاتحة :الآية ٤.

١٨-ظ: التفسير الكبير : ٢٤٧/١ ..

١٩- التفسير الكبير: ٢٤٩/١ , وظ: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم (دراسة تحليلية) : ١٦٠ ومابعدها, فابن الأثير يرى أنّ تقديم المفعول لا يكون للاختصاص دائما , إنما يخرج للفضيلة السجعية .ظ: المثل السائر : ٣٧/٢.بينما ينفي الشيخ عبد القاهر خروج التقديم لمراعاة النظم السجعي , وذلك بقوله : ((واعلمْ أنَّ من الخطأ أن يُقسِّم الأمرُ في تقديم الشيء, وتأخيره قسمينِ فيجعلُ مفيداً في بعضِ الكلامِ ,وغيرَ مفيد في بعض . وأنْ يعلِّلَ تارةً بالعناية ,وأخرى بأنّه توَسعةٌ على الشاعرِ ,والكاتب حتّى تطَّردَ لهذا قوافيه ,ولذاك سجعُه . ذاك لأنَّ منَ البعيد أن يكونَ في جملةِ النّظم ما يدلُّ تارةً , ولا يدلُّ أُخرى))ظ: دلائل الإعجاز : ١١٠.

٢٠- ظ: الميزان : ٢٦/١ , وظ: معجم المصطلحات البلاغية : ٤٠٥ ,وظ: من بلاغة القرآن : ٩٠ , وظ: البلاغة والأسلوبية : ٣٣٦-٣٣٧. وقد رد ابن الأثير على كل مَنْ يرى أنّ التقديم الحاصل في الآية الكريمة , هو من باب الاختصاص , من خلال ردّه على قول الزمخشري الذي يفضي بأن التقديم في هذه الآية قصد به الاختصاص , فذكر أنّ

تقديم المفعول فيها لم يكن للاختصاص ,وإنما قدم لمكان نظم الكلام. ظ: المثل السائر : ٣٦/٢.

٢١-سورة هود :الآية ٧١.

٢٢-ظ: تفسير البغوي : ٤ / ١٨٩,

٢٣-التفسير الكبير : ١٨/ ٢٧.

٢٤ ظ: الميزان : ٢٩٤/١٠.

٢٥-سورة هود : الآية ٧١.

٢٦- الميزان : ١١/ ١٣٢.

٢٧ سورة البقرة : الآية ٢٥٦.

٢٨- التفسير الكبير : ١٧/٧.

٢٩-الميزان : ٢/ ٣٣٠.

٣٠-سورة البقرة :الآية ١٩٩.

٣١- سورة البقرة: الآية ١٩٨.

٣٢-التفسير الكبير : ١٩٧/٥.

٣٣-الميزان : ٧٥/٢.

٣٤-المصدر نفسه : ٧٥/٢.

٣٥-سورة يوسف : الآية ٢٤.

٣٦-التفسير الكبير : ١٢٠/١٨.

٣٧-المصدر نفسه : ١٨/ ١٢٠.

٣٨-سورة القصص :الآية ١٠.

٣٩-التفسير الكبير : ١٢٠/١٨-١٢١.

٤٠-الميزان : ١٣٢/١١.

٤١-سورة آل عمران : الآية ١٤.

٤٢-سورة الروم :الآية ٢١.

٤٣التفسير الكبير : ٢١٢/٧, وظ: من بلاغة القرآن :ص ٩٣.

٤٤-الميزان : ١١٥/٣-١١٦.

٤٥- المصدر نفسه: ٣/ ١١٦.

٤٦-سورة النساء :الآية ٢٥.

٤٧-سورة التوبة :الآية ٧١.

٤٨-سورة الحجرات :الآية ١٣.
٤٩-التفسير الكبير:٦٢/١٠.
٥٠-التفسير الكبير : ٦٢/١٠.
٥١-المصدر نفسه: ٦٢/١٠.
٥٢- الميزان : ٢٦٧/٤
٥٣- سورة الجاثية : الآيات٣-٥.
٥٤- سورة البقرة :الآية ١٦٤.
٥٥- التفسير الكبير : ٢٧/ ١٦٠-١٦١.
٥٦- الميزان : ٨٢/١٨.
٥٧- الميزان: ١٨/ ١٤٣ – ١٤٤.
٥٨- سورة الأعراف :الآية ١٨٧.
٥٩- التفسير الكبير : ١٥/ ٨٦. وقد اكتفى الزركشي بالتقدير المشعر بوجود تقديم وتأخير فقد قال : ((وقوله تعالى يسألونك كأنك حفي عنها أي: يسألونك عنها كأنك حفيّ ...)) البرهان في علوم القرآن : ٢/ ٢١٣.
٦٠- الميزان : ٣٤٥/٨.
٦١- سورة إبراهيم : الآية ١-٢.
٦٢- التفسير الكبير : ١٩/ ٧٦.
٦٣- ظ: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم :ص ١٣٨.
٦٤- الميزان :١٠/١٢.
٦٥- الميزان :١٢/ ١١.
٦٦- المصدر نفسه : ١٢ / ١١.
٦٧- سورة ق : الآية ٤٤.
٦٨- سورة ق :الآية ٣.
٦٩- التفسير الكبير : ١٩٠/٢٨.
٧٠- سورة النمل : الآية ٢٨.
٧١- الميزان : ١٥/ ٣٢٢.وظ: جامع البيان : ١٨٤/١٩.
٧٢- سورة المائدة :الآية ٣.
٧٣- الميزان : ١٧١/٥